هذه الرسالة وجهها العلامة الفقيه الحاج أحمد سكيرج للعلامة الكبير
سيدي الحاج عبد الكريم بن العربي بنيس(1)

خليلي إذا ما جئت يوما لفـــــاس	فسلم على ناس هم خير نـــاس
وسر لضريح الشيخ إن مقامـــــه	عظيم له فضل عديم القيـــاس
وسل عن رفيع القدر بنيسنا الـذي	له طأطأت أولوا المعالي براس
وقبل يديه سائلا منـــه دعـــوة	قبالة قبر الشيخ تذهب بـاســـي
فلي فيه حب دائما في زيـــــادة	نسيت يدي إن كنت للعهد ناسـي

والد الروح، وشفاء الكبد المجروح، خليفة القطب التجاني، أبا المكارم العارف بالله سيدي الحاج عبد الكريم بنيس، بعد أداء ما يستحقه جنابكم من التبجيل والإحترام والسلام التام، على تلكم الشمائل السنية، والأخلاق السنية على الدوام، فأنهي لأبوتكم أنه حل بيدي كريم جوابك، ولذيذ خطابك، مصحوبا بنصف الملزمة التي كتب عليها محبنا الأود، المخلص في الود، الفقيه العلامة سدي الفاطمي الشرادي،(2) أخذ الله بيدنا وبيده، وسلك بالجميع مسلك النجاة، بإعطاء الشريعة حقها الذي منه مراعاة جانب أهل الله، ورزقنا حسن التأدب بما يرضي الله، ولقد تأملت ما كتبه على قولنا في مدح الشيخ رضي الله تعالى عنه.

فمقامه كمقام إبراهيم من	يلجئه يأمن وهو أفضل مسجد(3)

حيث زعم أن ذلك مني جسارة على الشريعة وتعد لحدود الله، وجزم بذلك الجزم القطعي من غير تردد منه، بأن ما ذكر هو الحق، ولم يقبل من أبوتكم ما كتبتموه، ولا زال مصمما على اعتقاده، فلتعلم أبوتكم أن الذي أعتقده في جانب الفقيه المذكور فيما صدر منه هو مجرد النصح في الله لمحبيه، ولم يقصد إلا خيرا، فالله يجازيه خيرا، غير أن نصيحته خرجت مكسوة بجلالة الفقه،

---

(1) سبق التعريف بالعلامة سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس في هذا التأليف ج 1 ص 40.

(2) سبق التعريف بالعلامة سيدي الفاطمي الشرادي في هذا التأليف ج 1 ص 35.

(3) هذا البيت من قصيدة دالية للعلامة الحاج أحمد سكيرج أنشأها في مدح الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا تعالى عنه، معارضا بها دالية الإمام البوصيري التي نظمها في مدح شيخه العارف با أبي الحسن الشاذلي وخليفته الشيخ أبي العباس المرسي. ويمكن للقارئ أن ينظر هذه القصيدة بتمامها في كتاب : النفحات الربانية في الأمداح التجانية للعلامة الحاج أحمد سكيرج ص 42 وكذلك في تأليفه المسمى : نور السراج في شرح إضاءة الداج ص 13، ومطلع القصيدة :

سلب الغرام من الفؤاد تجلـ ـ ـدي	فالعين مني كحلت بتسهـ ـد
والقلب في الخفقان من ريح الهوى	والعقل رهن تخيل وتعربـ ـد

يكاد سامعها من أول وهلة أن لا يعدها من نصيحة الأحباب، بما صدرت به من الجرأة والتعدي لحدود الله في أول خطاب، ونحن لم يصدر منا ذلك إلا بحسن اعتقاد، إن أصبنا فيه وهو إن شاء الله صواب، فبها ونعمت، وإن لم نصادف الحق في ذلك، فإننا لم نقصد جسارة ولا تعديا على الشريعة ولا على حدود الله.

ولو كتب لنا الأخ المذكور مستفهما عن اعتقادنا في ذلك، ووزنه بميزان الشرع قبل أن يكتب ما ظهر له ويظهره لبعض المنكرين، الذي بلغنا عنهم في هذا الجانب قدح وحقد وشتم ولعن وغير ذلك، لكان في فسحة عن جر تباعة المسؤولية عليه أو علينا، أما أولا : فإن هذه المسألة من باب حسن الظن فيما يخبر به الشيوخ، وكمال الإعتقاد الذي يؤدي بالمريد إلى النجاح في القصد، لأن هذا خارج عن نصب الموازين التي تظهر لمقيمها أنه فيها على صواب طبق زعمه، وهو فيها على خطأ، ولذلك لا ينبغي للفقيه المحتاط لنفسه أن يتجاسر على جانب أهل الله، بالتعجيل بالاعتراض عليهم بما بلغه عقله، معتمدا على ما لديه من العلم، مع أنه فوق كل ذي علم عليم، وأما ثانيا : فإن هذه المسألة لا شيء فيها، مما توهمه حسبما سيتضح.

وقد اتضح لكم بما حملتم عليه قولنا رفعا للإبهام الذي ذكرتموه بعود الضمير المرفوع من يلجئه على من، والمنصوب على مقام إبراهيم، ومع هذا التأويل لم يقبله، فما ظنك لو قلنا أن الضمير المنصوب راجع لمقام الشيخ، وهو في مقام المدح سائغ، لأن غاية ما هنالك تشبيه مفضول بفاضل، وهو أمر مطروق، هذا مع ذكر أداة التشبيه، فما بالك لو جعلناه من التشبيه البليغ بحذفها، ولا نحتاج إلى أن نبرهن على هذا، لأنه إذا لم يستحضر هذا في المقام فكل ما نستشهد به لا يقبله، ويورد عليه ما أورده على كلامنا، ولاشك أن كل كلام فيه المردود والمقبول إلا كلام الرسول عليه السلام، فلهذا لا نرى بأسا في بحثه معنا، كما أننا نبحث معه من وجوه منوطة بكلامه الذي كتبه مع فهمه لما استدل به، ولقد تعودت منه الإنصاف في المذاكرة، فلهذا نقول أن البيت الذي ذكرناه مع ما بعده هو أهون من قول الغير، من جلة العلماء الذين يحق الإطراق عند سماع ذكرهم، فهذا الإمام البوصيري يقول في داليته التي مدح بها الإمام أبا الحسن الشاذلي(4) وأبا العباس المرسي(5) وهي التي نسخنا على منوالها داليتنا المذكورة قال :

فإذا مررت على مكان ضريحـه	وشممت ريح الند من ترب نـدي
ونزلت أرضا في العلا مخضـرة	مخضلة(6) منها بقـاع الـغـرقـد

---

(4) انظر التعريف به في ج 1 ص 359 من هذا التأليف.
(5) الشيخ العارف بربه القطب الشهير سيدي أبو العباس المرسي، جمع الكثير من مناقبه وأقواله وكراماته تلميذه أحمد بن عطاء ا الإسكندري في تأليف سماه (لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن) وتوفي رحمه ا سنة 686هـ، انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 12 رقم الترجمة 310 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 187 رقم الترجمة 624 وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 7 ص 371 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 186.
(6) مخضلة : بمعنى مبتلة.

والوحش آمنة لديه كأنهـــــــا　　　حشرت إلى حرم بأول مسجـد

ووجدت تعظيما بقلبك لو ســرى　　　في جلمد سجد الورى للجلـمـد(7)

فانظر إلى قوله مخضلة منها بقاع الأرض، وهي شاملة لكل أرض، وإلى قوله كأنها حشرت، وإلى قوله سجد الورى للجلمد(8)، فلولا المبالغة في مقام المدح سائغة ما قال هذا السيد هذا الكلام في الشاذلي والمرسي، ولم يتعرض عليه أحد فيما نعلم إلا بعض المعترضين عليه في قوله في البردة : يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك إلخ ... مع أن ذلك أيضا سائغ، ولو كان لهم تمام الإدراك بمقاصد العارفين لعرفوا أنه لمح إن لم نقل ضمن قول الصحابي الجليل سواد بن قارب حيث قال في مدح رسول الله عليه السلام :

فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة　　　سواك بمغن عن سواد بن قارب(9)

وهذه الرواية من المنصوص عليها في الإصابة، وهو الصوب إن شاء الله، وروي بدل سواك بمغن فتيلا، وهو المذكور في شواهد النحو، والمدار على الأول بحول الله، وقال البوصيري أيضا في الدالية :

شرفا لمرسية(10) رست بأساسها　　　بعلا أبي العباس فوق الفرقد

اليوم قام فتى علي بـعــــــده　　　كيما يبلغ مرشد عن مرشـــد

فكأن يوشع بعد موسى قـائـــــم　　　بطريقه المثلى قيام مـؤكـــد

فانظر إلى تشريف مرسية على غيرها بأبي العباس، وتنزيل قضية الإرشاد التي بين الشاذلي وأبي العباس للناس منزلة نبيين، وليس في هذا إن شاء الله ضرر عليه، فإنه جاء على مقتضى البلاغة وسحر البيان، الذي لا ينكر ولا يوزن بخسارة الميزان، فلو جئت بهذا التشبيه لقال بكفري القائل بجسارتي وتعدي لحدود الله، في تشبيه مقام الشيخ نفعنا الله به بمقام إبراهيم عليه السلام،

---

(7) هذه الأبيات من دالية الإمام البوصيري، وهي مذكورة عن آخرها في الجزء الثالث من رفع النقاب بعد كشف الحجاب، للعلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج ص 152، وذكر في نفس الكتاب أن المقدم البركة السيد الأمين محمد بن يحيى بلامينو الرباطي قد حدثه أن العارف با سيدي العربي بن السائح رضي ا عنه، ذكر له أن الشيخ رضي ا عنه في مرضه الذي توفي فيه، أمر بإحضار دالية البوصيري، فلم توجد بفاس، فأرسل إليها بعض الخاصة من أصحابه لمكناسة الزيتون، فلما جاءت أمر بقراءتها، فلما أتموا قراءتها لم يتكلم معهم بعد ذلك أصلا، وا أعلم بمراد الشيخ رضي ا عنه. انظر الجزء الثالث من رفع النقاب ص 147.

(8) الجلمد : الصخر

(9) رواه البيهقي في دلائل النبوة وابن عبد البر في الاستيعاب، وسواد بن قارب الأزدي الدوسي صحابي جليل، توفي بالبصرة عام 15هـ، انظر ترجمته في الروض الأنف للسهيلي ج 1 ص 139 وفي عيون الأثر لليعمري ج 1 ص 72، ورقم ترجمته في الإصابة لابن حجر 3576. وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 144.

(10) مرسية مدينة عتيقة ببلاد الأندلس، ولازالت تحمل هذا الاسم إلى الآن، وإليها ينتسب القطب الشهير سيدي أبو العباس المرسي رضي ا عنه.

على أنه ليس هناك ما يمس بجانب المقام الإبراهيمي من انتهاك حرمة أو نقض ذمة، اللهم إلا إذا قيل بأن الزاوية محل مستحقر في نظر الشرع كمحل قهوة أو نحوها، فحينئذ ينظر في التشبيه، ويظهر حينئذ من يحصل له هذا التشويه الموصوف بالجرأة والجسارة ونحو ذلك.

ولولا ما أعتقده في حق الفقيه المذكور من سلامة الصدر لقلت أنه مدفوع بيد بعض المبغضين في الجناب الأحمدي، ليمزق بمقراض الشتم عرضي المنجر على ذلك الجناب، فإن مشبه بيت من بيوت الله وهو الزاوية ببيت الأمن الذي هو مقام إبراهيم لا يستحق لذلك الشتم القادح والسب الفادح، على أن الأمن المذكور لا ينبغي أن يحمل في مقام إبراهيم إلا على الأمن الدنيوي عند بعضهم، وأما نحن فنعتقد أمنه دنيا وأخرى في ذلك المقام وفي هذا المقام، وانظر بعينيك أيها الشيخ إلى قول الشيخ حمدون ابن الحاج(11) في قصيدته البديعة التي مدح بها الحضرة السليمانية، وشرحها بشرحه المسمى بالنوافح الغالية، وقد طالعها علماء وقته، وما أدراك من هم، بل منهم الممدوح وهو العلامة المقدس السلطان المولى سليمان(12)، ولم ينكر التشبيه الذي قاله في وصف قصيدته بما عد من أبدع التخيلات، قال في خطابه :

وهذه بلقيس أتـــاك بـعـرشـــهـــــــا	الذي عنده علم بأوصافك الزهرا
رأت من علا معناك صرحا ممردا	فظنته لجة توافي لها المجـــرى
لذا كشفت عن ساق جد زفـيـفــــة	إليك سليمان توفي لها المهـــرا

(11) أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمان بن الحاج السلمي المرادسي، من أكابر فقهاء وأدباء فاس، توفي رحمه الله سنة 1232هـ وله مؤلفات منها : نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري، وقصيدة ميمية في السيرة النبوية في نحو 4000 بيت، وله شرح عليها في خمسة أسفار، وحاشية على تفسير أبي السعود ومتبوعه البيضاوي، وديوانه الذي سماه السليمانيات مع شرحه، ويحتوي على قصائد رائعة جميلة في مدح السلطان العادل مولاي سليمان بن محمد العلوي رحمه الله. انظر ترجمته في النبوغ المغربي للعلامة عبد الله كنون ج 1 ص 296 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 379 رقم الترجمة 1516 وفي الإستقصا للناصري ج 4 ص 151 وفي سلوة الأنفاس للكتاني ج 3 ص 4 وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 275. وخصصه ابنه العلامة سيدي محمد الطالب بتأليف في ترجمته سماه : نيل السرور والإبتهاج بترجمة الشيخ حمدون بن الحاج، وسماه كذلك : رياض الورد إلى ما انتهى إليه هذا الجوهر الفرد.

(12) السلطان العادل أبو الربيع مولانا سليمان رحمه الله بويع له سنة 1206هـ وكان من خيرة العلماء بإجماع أهل الفضل من المحققين، وله مؤلفات منها : عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد، وحاشية على الموطأ، وحاشية على الزرقاني على المواهب اللدنية، وحاشية على شرح الخرشي على المختصر، وتأليف في التجمير بعود الطيب في رمضان، وتأليف في الغناء، وتأليف في أحكام الجن والتفريق بينها وبين أحكام الإنس، وتوفي رحمه الله بمراكش يوم الخميس 13 ربيع الأول عام 1238هـ، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 495 وفي الإستقصا للناصري ج 4 ص 129-172 وفي فهرس الفهارس للكتاني ص 980 رقم الترجمة 557 وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 134 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 380 رقم الترجمة 1523. وفي الدرر الفاخرة لابن زيدان ص 67 وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 354 رقم الترجمة 787 وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 9.

وقد ساق القضية مساق المبالغة بدون أداة التشبيه، ولو كان هناك ما ينكر لبادروا بإنكار ذلك، ولم يتعرض أحد لهتك حرمة المومن التي يقال فيها : حرمة المومن عند الله أعظم من حرمة الكعبة، فاتضح أن تشبيه مقام الشيخ بمقام إبراهيم لا بأس به، ولم نقل بأنه أفضل من مقام إبراهيم، إلا على التوهم الذي ذكره مما هو أشد في قولنا وهو أفضل مسجد، ولم يقبل ضمير هو الراجع لمقام إبراهيم على وفق ما نعتقد، ولم نقصد ما قصده بعكس الضمائر، والمقام مبين لغيره، غير أنه من جهة الإنصاف كان المحل يحتاج إلى توضيح مرجع الضمير، ولكن المقام ضيق في النظم اعتمادا على فهم السامع والمطالع، على أنه لا بأس للمعتقد أن يرى الأفضلية نسبية، فهو من أفضل المساجد بعد الثلاث، ولم يكن هناك قصد في هضم جانب ما عظم الله، وانظر إلى قول المولى عبد القادر الجيلاني قدس سره، وهو مذكور في كتب مناقبه من جملة أبيات متحدثا بالنعم

قالت الأوليا جميعا بـعــــــزم	أنت قطب على جميع الأنـام
قلت كفوا ثم اسمعوا نص قولي	إنما القطب خادمي وغلامـي
كل قطب يطوف بالبيت سبـعــا	وأنا البيت طائف بخيــامـــي

فحاشى أن يقصد هضم جانب البيت الحرام، مع أن فضل الزاوية لا ينكره إلا غير المعتقد الذي لا كلام لنا معه، على أننا نستدل بالبرهان الآني، وهو من قبل القطع بما يخبر به مثل الشيخ رضي الله عنه، المشهود بفضله وعدالته عند غير المبغضين، ومن كان له أدنى مطالعة لكتب القوم لم يحصل منه هذا الغلط الحاصل للفقيه المذكور حتى كتب ما كتب وهو يعلم ما قيل :

فلا تكتب بكفك غير شيء	يسرك في القيامة أن تراه

على أنه لو وقف مع فقهه بقطع النظر عن قول الصوفية لتعين عليه حسن الظن، وبحسن الظن نقطع بولاية الشيخ وبصدقه لما يخبر به، لما ثبت لدينا من أمارات صدقه وولايته، ولا نحتاج إلى الإستدلال على هذا للمطلع المتضلع، ولكن لا بأس أن ننقل هنا ما ذكره محب أهل الله، العارف به سيدي محمد بن جعفر الكتاني(13) قال في كتابه الأزهار العاطرة الأنفاس ما نصه : تنبيه: إذا كانت ولايته يعني المولى إدريس(14) رضي الله عنه قطعية، وكانت مجمعا عليها من أهل الظاهر والباطن، كان رضي الله عنه من المقطوع لهم بالجنة، كالجيلاني ونحوه، وعليه : فإذا حلف شخص بالطلاق أو غيره أنه من الأولياء أو أنه من أهل الجنة فلا حنث عليه، كما يفيده ما

---

(13) سبق التعريف به في ج 1 ص 27 من هذا التأليف.

(14) مولانا إدريس بن إدريس الحسني، باني مدينة فاس، ولد بجبل زرهون عام 177هـ وبويع له بالحكم عام 188هـ وعمره وقتذاك لا يتعدى 11 سنة، فاتسعت فتوحاته المظفرة، واستطاع في وقت وجيز أن يؤسس أول دولة مغربية إسلامية تمتد شرقا إلى حدود تونس، وله رضي ا عنه دور طلائعي في انتشار الإسلام بالمغرب، وكانت وفاته عام 213هـ انظر ترجمته في الإستقصا للناصري ج 1 ص 70-75 وفي جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 24-41 وفي الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس لمحمد بن جعفر الكتاني، وهو كتاب خاص بترجمته، وفي سلوة الأنفاس لنفس المؤلف ج 2 ص 69-83. وفي إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 2 ص 17.

ذكره شراح المختصر عند قوله في الطلاق (أو فلان من أهل الجنة)(15) من أن من قال عليه بالطلاق أن فلانا من أهل الجنة أو النار ينجز عليه الحنث، إلا أن يكون من المقطوع لهم بالنار كأبي لهب، أو بالجنة كالعشرة، ونحوهم من كل من أخبر عنه عليه السلام بطريق صحيح أنه من أهل الجنة كعبد الله ابن سلام(16) فلا حنث عليه، ومثل ذلك من شهد الإجماع بحسن الثناء عليه كعمر بن عبد العزيز على ما أفتى به ابن القاسم ورجحه ابن رشد.

قال العارف الفاسي : وقس على عمر بن عبد العزيز سائر صالحي الأمة كالجيلاني والشاذلي والسبتي(17) والغزالي والجزولي وابن مشيش(18) وأبي يعزى(19) ومن لا يحصى كثرة، فإن شهود النفع بهم يحل القطع بخصوصيتهم، وقربهم من ربهم، وسريان مادتهم ونورهم، فتيقن هذا عند ذوي الأذواق والبصائر، ومن له أدنى مسكة من حياة حقيقية وشم وإدراك روحاني، وكذا عند سائر مشايخ كل زمان، وإنما ينتفع بالقطع بخصوصيتهم، وأما من كان على ظن وشك فيهم

---

(15) مختصر خليل بن إسحاق المالكي باب الطلاق ص 142.

(16) أبو يوسف عبد ا بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، صحابي جليل، أسلم عند قدوم النبي (ﷺ)المدينة المنورة، وكان اسمه (الحصين) فسماه رسول ا صلى ا عليه وسلم عبد ا ، وفيه نزلت الآية : وشهد شاهد من بني إسرائيل، وكذلك قوله تعالى : ومن عنده علم الكتاب، توفي رحمه ا بالمدينة عام 43هـ، انظر ترجمته في الإصابة لابن حجر رقم الترجمة 4725.

(17) أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي، من أكابر أولياء المغرب في وقته، وهو أحد الرجالات السبعة بمراكش، ولد بسبتة عام 524هـ، وتوفي بمراكش في 3 جمادى الثانية سنة 601هـ، انظر ترجمته في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، لابن إبراهيم المراكشي ج 1 ص 234-325، وفي مقدمة الإرتجال في مشاهير سبعة رجال، لنفس المؤلف، وفي ذيل التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات ص 451، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 184 رقم الترجمة 608، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 107. وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 3 ص 56.

(18) القطب الكبير، والعلم الشهير، مولانا عبد السلام بن مشيش رضي ا عنه، من نسل سيدي محمد بن إدريس بن إدريس الحسني الأكبر فاتح بلاد المغرب، توفي رحمه ا شهيدا سنة 625 هـ قتله بجبل العلم قوم بعثهم لقتله ابن الطواجين الكتامي الساحر المتنبي، ودفن بقنة الجبل المذكور. انظر ترجمته في النبوغ المغربي في الأدب العربي للعلامة عبد ا كنون ج 1 ص 152، وفي جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج 2 ص 69 وفي طبقات الشاذلية للكوهن الفاسي ص 58 وفي مرآة المحاسن لمحمد العربي الفاسي. ص 187 وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 9 وفي معجم المطبوعات لسركيس 1553.

(19) أبو يعزى يلنور بن ميمون بن عبد ا الدكالي الهزميري من خاصة أولياء ا الصالحين، ولد سنة 438 وتوفي سنة 572هـ، على عمر يفوق 130 سنة، وفد على فاس فسكنها مدة بحومة البليدة، ثم خرج إلى بلاد مغراوة واستقر بها بقرية تاغيا، وبها توفي رحمه ا ، انظر ترجمته في سلوة الأنفاس للكتاني ج 1 ص 172، وانظرها في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 136 رقم الترجمة 257، وفي الأعلام للزركلي ج 8 ص 208، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 163 رقم الترجمة 503، وفي جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 563 رقم الترجمة 657، وفي التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات ص 213 رقم الترجمة 77، وفي مرآة المحاسن لمحمد العربي الفاسي ص 199، وخصصه العلامة أحمد بن أبي القاسم الهروي الصومعي بتآليف سماه : المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى.

فإنه لا ينتفع بهم، لأن مبنى النفع على التصديق، وهو الأصل في الطريق، من حرم الأصل حرم الفرع، ولذا قيل : إنما حرموا الوصول، لتضييعهم الوصول.

وفي قواعد الشيخ زروق : قد تفيد الدلائل من الظن ما يتنزل منزلة القطع وإن كان لا يجري على حكمه في جميع الوجوه، كالقطع بإيمان مسلم ظهرت منه أعمال الإسلام، وكولاية صالح دلت على مقامه أفعاله وأقواله وشواهد أحواله : كل ذلك في علمنا من غير جزم بعلم الله فيه، إلا في حق من جاءنا عن الله بخصوصية له كالعشرة المشهود لهم بالجنة، إهـ ... انظر تمام كلامه، وهذا أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي(20) رضي الله عنه في جواب له في نوازله قال : وفي معنى هذا الإمام رضي الله عنه ووالده مولانا إدريس الأكبر، ولعل عدم تمثيلهم بهما لوضوح أمرهما وشهرة حالهما إلخ ... كلام ابن جعفر المذكور، ومثل ذلك يقال هنا بهذه المسألة وإن كانت فقهية، فأنت تراها جارية على ما نقول في حسن الظن بسيدنا رضي الله عنه، فقد بلغنا عنه من طريق لا نشك فيها أنه قال : زاويتنا أمرها قائم بالله. وقال : لو علم الأقطاب ما في زاويتنا لضربوا عليها الخيام كما في البغية(21)، والصلاة فيها مقبولة طبعا، وهذا القطع هو من الباب الذي ذكرناه، ولا علينا في من لم يعتقد كاعتقادنا، فإن الإنسان حر الفكر، والمدار على أن يكون على بينة من ربه، ومن هنا يعلم سر الاستفهام الوارد في الحديث من قوله عليه السلام للصحابية الشاهدة بإكرام الله للصحابي الذي ذكره، فإنها قالت فمن يكرمه الله، ولو قالت : إنه قام بأمور دينه على الوجه الذي أتيت به، وصدق رسالتك وأدى ما فرض عليه، وقد قلت في غيره : أفلح إن صدق، فكيف لا يفلح هذا، ونحو هذا الكلام ما أجابها بقوله عليه السلام : والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي، وفي رواية لما في البخاري ما يفعل به(22) فحاشا رسول الله أن لا يكون عالما بما يفعل به وهو على بينة من ربه، وإنما السر في ذلك الزجر لها هو عدم الإعتماد على ظواهر الأمر من غير دليل.

وقد استدل بهذا الحديث الحزب المانعون لفضل الله بإكرام رسوله عليه السلام بالإطلاع على علم الأولين والآخرين، وقد ورد أنه عرض عليه في الجدار فرأى ما كان وما يكون، ونجيب بأن ذلك

---

(20) أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي عالم فاس وإمامها. ومسندها وبركتها، توفي رحمه ا بعد زوال يوم الأربعاء 8 رمضان عام 1091هـ ودفن من الغد بالزاوية المنسوبة إليه الآن بحومة القلقليين من عدوة فاس القرويين، في موضع تدريسه للعلم بها، وخصصه ابنه أبو زيد سيدي عبد الرحمان بتأليف سماه : تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر، انظر ترجمته في فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 763 رقم الترجمة 418، وفي الفكر السامي للحجوي ص 334 رقم الترجمة 748، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 314 رقم الترجمة 1226، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 41. وفي معجم المطبوعات لإليان سركيس 1430. وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 309.

(21) انظر بغية المستفيد لشرح منية المريد لأبي المواهب السائحي ص 237. وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 21.

(22) انظر صحيح البخاري كتاب الشهادات رقم الحديث 2687، وانظره بشرح فتح الباري للحافظ بن حجر ج 5 ص 367.

الحديث لعله كان قبل إعلام الله له، وهذه المسألة مفروغ منها بما بسطه كل من انتصر

لكل فريق، كتاجموعتي(23) مع اليوسي(24) ومن قبلهما ومن بعدهما، ومن تحقق بأن علم النبي (ﷺ) بإعلام الله له، ولم تفته حتى رؤية الحق تعالى قبل خروجه من الدنيا ليتم له (ﷺ) العلم الكامل، ومع ذلك فهو علم حادث، ولا تستبعد إحاطته (ﷺ) بالعلم الحادث، أما العلم القديم فلا يمكن ولا يتصور الإحاطة به ولا يقوله أحد، وبما أجبنا به أولا يجاب عما بعد البيت المذكور من قصيدتنا، غير أنه وقع تصحيف في خط ناسخ قولنا : إن الصلاة مقبولة منه، وصوابه فيه بالفاء والياء، أعني الصلاة مقبولة في المقام الشريف الذي هو ضريح بل زاوية سيدنا رضي الله عنه، ولاشك في ذلك عندنا بحول الله، ولقد راجعنا البغية لدى قول المنية :

وما بزاويته يصلى قطعا يكون للقبول أهلا(25)

فوجدنا مؤلفها رضي الله عنه أتى بما فيه كفاية للمعتقد، ثم إنه لا يضرك سيدي أن تعتقد فينا والحمد لله أننا على بصيرة من أمر ديننا بما علمنا الله، ولله الحمد شريعة وحقيقة وطريقة، لهذا أرجو أن لا يؤثر فيكم ما كتبه العلامة المذكور قاصدا بذلك نصيحتنا، وإن أخطأ فيها بعدم تثبته في هذه المسألة، أو لغلبة الفقه عليه.

ولازلت أقضي العجب من كونه خاض مع أهل التصوف، وشرب من مشرب شيخنا بركة الوقت سيدي أحمد بن الخياط(26) رضي الله عنه، ومع ذلك لازال يغلب عليه التعصب الفقهي،

---

(23) عبد المالك بن محمد التجموعتي، قاضي سجلماسة توفي عام 1118هـ، من مصنفاته : كتاب في العلم النبوي سماه : ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب، رد فيه على سؤال في هذا الموضوع وجهه إليه العلامة أبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي، دفين فاس، ومن تصانيفه أيضا : خلع الأطمار البوسية بدفع الأمطار اليوسية، في نحو ثلاث كراريس، رد به على العلامة الشهير سيدي الحسن اليوسي، وذلك في نفس الموضوع المتعلق بسعة علم النبي (ﷺ)، وكان العلامة سيدي الحسن اليوسي يقول بأن النبي صلى ا عليه وسلم قد أحاط بالعلم الحادث، ويستدل على ذلك بنصوص صحيحة، بينما كان معاصره العلامة التجموعتي يخالفه في الرأي، وللفقيه سيدي عبد المالك التجموعتي شرح نفيس على رائية العارف با سيدي محمد بن ناصر الدرعي في قواعد الدين، انظر ترجمته في فهرس الفهارس للعلامة عبد الحي الكتاني ص 255 رقم الترجمة 97، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 164.

(24) العارف بربه العلامة سيدي الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي، نسبة إلى أيت يوسي، قبيلة في عداد بربر ملوية، من أكابر علماء المغرب في عصره، فقيه، محدث، لغوي، أديب، مؤرخ، صوفي فاضل، قال في حقه صاحب الرحلة العياشية :

من فاته الحسن البصري يدركه فليصحب الحسن اليوسي يكفيه

له مؤلفات نفسية منها : المحاضرات، وقانون أحكام العلم، وزهر الأكم في الأمثال والحكم، ومنح الملك الوهاب فيما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب، والكوكب الساطع في شرح جمع الجوامع، والقصيدة الدالية وشرحها وقد سماه : نيل الأماني من شرح التهاني. وغيرهم. وكانت وفاته رحمه ا عام 1102هـ ودفن في بلدته تمزرنت بمزدغة. انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 328 رقم الترجمة 1284 وفي النبوغ المغربي لعبد ا كنون ج 1 ص 285 وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 1154 رقم الترجمة 658 وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 223 وفي الإستقصا للناصري ج 4 ص 51 وفي معجم المطبوعات لإليان سركيس 1959. وفي الفكر السامي للحجوي ص 337 رقم الترجمة 754.

(25) انظر بغية المستفيد لشرح منية المريد للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح ص 235.

(26) سبق التعريف به في ج 1 ص 31 من هذا التأليف.

وأتمنى له أن لو سلك مسلك المربين في هذه الطريقة، فاجتمع بواحد منهم فألقى له السلب، لينال فيها فوق ما طلب، سائلا من الله للجميع الثبات والوفاء بالعهد، مسلما عليه وعلى جميع الإخوة الأنجال، والإخوان وأهل مجلسك، وبالأخص سيادة المقدم، وكل من هو منكم وإليكم، راجيا الدعاء الصالح.

وقد كتبت هذه الأحرف من غير تأنق في الخطاب، ولو كان كتب لنا الفقيه المذكور في هذا الموضوع لأجبناه بتويلف بالخصوص، ولكن نكتفي بما أشرنا إليه من غير تطويل، وها نحن في انتظار ما قيد تم في المسألة، ولا بأس أن تتحفونا به وترجعوا لنا معه هذه السطور لنثبتها في المحل المناسب، كما أننا ننتظر الوفاء بالعهد بزيارة هذه الناحية مرة ثانية، وها نحن رجعنا لكم نصف الملزمة التي كتب عليها الفقيه المذكور، بعد سلامنا عليه بأتم السلام، وقد كتبت للأخ بأن يمكنك بما تريد من المطبوع، ولكم الفضل في القبول، وإن ظهر لكم بعض التنبيهات فأطلعونا عليها لنكون على بصيرة بما ليس لنا به علم، ولازلنا ولن نزال وسنزال متمسكين بحبل الطريق بحول الله، قائمين على ساق الجد فيها بما نرجو من الله فيه القبول.

ونحن كلاب الدار طبعا فلم نزل نوالي مواليها ونحرس بابها

ثبت الله القدم، ولا أوقعنا فيما يحصل لنا فيه ندم، وعليكم بمجاملة الفقيه المذكور، والأخذ بخاطره حتى لا يقطع الدخول للزاوية بالمرة، لأنه من الإخوة في الله، والله يأخذ بيد الجميع آمين، وكتبه عن عجل وشغل بال، محل ولدكم المحسوب عليكم، عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله.